تحولات الحكم في سوريا من حافظ الأسد إلى ما بعد بشار الأسد

فرحانة كمال،
باحثة دكتوراه، كلية م.س.م كايمكولام
د. فاروق اس،
أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية، كلية م.س.م كايمكولام

الملخص

تتناول هذه الدراسة التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الجمهورية العربية السورية منذ وصول حافظ الأسد إلى السلطة عام 1970، مرورا بمرحلة انتقال الحكم إلى بشار الأسد، وصولا إلى اندلاع الحرب الأهلية عام 2011، وانتهاء بسقوط النظام في ديسمبر 2024 وبداية مرحلة ما بعد الأسد. وتركّز الدراسة على طبيعة النظام السلطوي، وآليات القمع السياسي، وتحوّلات السياسات الداخلية والخارجية، وتأثيرها في المجتمع السوري. كما تسلط الضوء على الحرب الأهلية بوصفها نتيجة تراكمية لعقود من الاستبداد والتهميش، وما خلّفته من أزمات إنسانية وتدخلات إقليمية ودولية. وتختتم الدراسة بتحليل التحديات التي تواجه سوريا في مرحلة ما بعد سقوط النظام، ولا سيما قضايا العدالة الانتقالية، وإعادة بناء الدولة، وصياغة نظام سياسي جديد قائم على التعددية وسيادة القانون. وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تاريخية تحليلية تساعد على فهم تعقيدات المشهد السوري وتحولاته الكبرى في نصف القرن الأخير.

الكلمات المفتاحية ; سوريا - حافظ الأسد - بشار الأسد - الحكم السلطوي - حزب البعث - الحرب الأهلية السورية - التحول السياسي - العدالة الانتقالية - ما بعد الأسد

المقدمة

شهدت سوريا منذ سبعينيات القرن العشرين مسارا سياسيا معقدا اتسم بسيطرة النظام السلطوي وهيمنة الحزب الواحد، ما ترك آثارا عميقة في بنية الدولة والمجتمع. وقد مثّل وصول حافظ الأسد إلى السلطة عام 1970 نقطة تحول مفصلية في التاريخ السوري الحديث، حيث أرسيت دعائم نظام سياسي مركزي قائم على القبضة الأمنية وإقصاء التعددية السياسية. واستمر هذا النهج خلال فترة حكمه الطويلة، قبل أن ينتقل الحكم إلى ابنه بشار الأسد عام 2000 في ظل آمال بإصلاحات سياسية واقتصادية لم تلبث أن تلاشت.

أدّت السياسات القمعية، إلى جانب الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المتراكمة، إلى تفجّر احتجاجات شعبية واسعة عام 2011، سرعان ما تحولت إلى حرب أهلية مدمّرة بفعل العنف المفرط والتدخلات الإقليمية والدولية. ومع استمرار الصراع لسنوات، دخلت سوريا واحدة من أكثر المراحل دموية في تاريخها، انتهت بسقوط حكم بشار الأسد في ديسمبر 2024، وبدء مرحلة انتقالية جديدة.

تنطلق هذه الدراسة من تتبع تطور الحكم في سوريا وتحليل بنيته وآثاره، وصولا إلى مرحلة ما بعد الأسد، في محاولة لفهم جذور الأزمة السورية، وتحولات السلطة، وإمكانيات بناء دولة جديدة تقوم على الحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

سوريا في ظل حكم حافظ الأسد

وصل حافظ الأسد إلى السلطة في سوريا عام 1970 عبر انقلاب عسكري عرف بـ"الحركة التصحيحية[1]"، أنهى حالة الصراع الداخلي داخل حزب البعث وأرسى نظاما سياسيا مركزيا قويا. ومع توليه رئاسة الجمهورية ، بدأت مرحلة جديدة اتسمت بترسيخ سلطة الرئيس وتعزيز دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية، مما أسهم في إعادة تشكيل بنية الدولة السورية.

اعتمد نظام الحكم في عهد حافظ الأسد على هيمنة حزب البعث العربي الاشتراكي[2]، حيث أقصيت التعددية السياسية وتحولت العملية الانتخابية إلى إجراء شكلي يضمن استمرار السلطة القائمة. وتمركزت الصلاحيات الواسعة في يد رئيس الجمهورية، مع تعديل الدستور بما يخدم تثبيت الحكم، الأمر الذي أدى إلى تراجع دور المؤسسات التشريعية والقضائية.

شكّلت الأجهزة الأمنية ركيزة أساسية في إدارة الدولة خلال هذه المرحلة، إذ توسّع دورها في مراقبة المجتمع والسيطرة على الحياة العامة. وتعرّض المعارضون السياسيون والنشطاء للاعتقال

[1] الحركة التصحيحية هي حركة تغييرية انقلابية في سوريا قام بها وزير الدفاع حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس في 13تشرين الثاني 1970 وعين على إثرها أحمد الحسن الخطيب رئيسا للجمهورية مؤقتا، وصل بعدها حافظ الأسد إلى سدة الحكم.

[2] حزب البعث العربي الاشتراكي حزب سياسي تأسس في سوريا على يد ميشيل عفلق وصلاح البيطار وزكي الأرسوزي .تبنى الحزب مفهوم البعثية (وتعني «النهضة» أو «الصحوة»)، وهي خليط إيديولوجي من القومية العربية والوحدة العربية والإشتراكية العربية ومعاداة الإمبريالية .تدعو البعثية إلى توحيد الوطن العربي في دولة واحدة.

والتعذيب، فيما بلغ القمع ذروته في أحداث مدينة حماة[3] عام 1982، التي أسفرت عن سقوط آلاف الضحايا، وأصبحت رمزا لسياسة العنف التي انتهجها النظام في مواجهة المعارضة.

على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، تبنّت الدولة نموذجا يقوم على سيطرة القطاع العام، مع توفير قدر من الاستقرار الاجتماعي مقابل تقييد الحريات السياسية. غير أن هذه السياسات أدّت إلى انتشار الفساد والمحسوبية، وتفاوت التنمية بين المناطق، مما أسهم في خلق اختلالات بنيوية استمر تأثيرها في المراحل اللاحقة.

في السياسة الخارجية، سعى حافظ الأسد إلى تعزيز مكانة سوريا إقليميا ودوليا عبر اتباع سياسة توازن وتحالفات استراتيجية، أبرزها التحالف مع الاتحاد السوفيتي. وشاركت سوريا في حرب أكتوبر[4] 1973 ضد إسرائيل في محاولة لاستعادة هضبة الجولان، كما تدخلت عسكريا في لبنان عام 1976، ما عزّز نفوذها الإقليمي لعدة عقود[5].

تمثل مرحلة حكم حافظ الأسد إحدى أكثر الفترات تأثيرا في التاريخ السوري الحديث، إذ أسست لنظام سلطوي طويل الأمد ترك بصماته العميقة على الدولة والمجتمع، ومهّد للعديد من الأزمات السياسية والاجتماعية التي ظهرت لاحقا في سوريا.

انتقال السلطة إلى بشار الأسد

شكّل انتقال السلطة في سوريا عام 2000 من حافظ الأسد إلى ابنه بشار الأسد حدثا مفصليا في التاريخ السياسي السوري، إذ مثّل أول عملية توريث للسلطة في النظام الجمهوري. عقب وفاة حافظ الأسد، جرى تعديل الدستور بسرعة لتخفيض السنّ القانونية لتولي منصب رئاسة

---

[3] حماة مدينة سورية تقع في وسط البلاد، وهي مركز محافظة حماة وتحتل المرتبة الرابعة من حيث عدد السكان بعد دمشق وحلب وحمص، وتُعدّ من المدن المهمة تاريخي ا وجغرافي ا في سوريا.

[4] حرب أكتوبر، المعروفة بحرب العاشر من رمضان في مصر وحرب تشرين التحريرية في سوريا وحرب يوم الغفران في إسرائيل، هي حرب شنتها مصر وسوريا مع ا على إسرائيل عام 1973، وتُعدّ رابع الحروب العربية الإسرائيلية بعد حروب 1948 و1956 و1967.

[5] https://www.alaraby.co.uk - حكم حافظ الأسد.. ودروس للمستقبل في سورية

الجمهورية، بما أتاح لبشار الأسد الترشح للرئاسة، الأمر الذي عكس طبيعة النظام السياسي القائم على تركيز السلطة داخل دائرة ضيقة من النخبة الحاكمة.

تم انتخاب بشار الأسد رئيسا للجمهورية عبر استفتاء شعبي بمرشح واحد، مما أثار تساؤلات واسعة حول شرعية العملية السياسية وحدود المشاركة الديمقراطية في البلاد. ورغم الطابع الشكلي لهذه الإجراءات، سادت في بدايات عهده آمال داخلية وخارجية بإمكانية إحداث إصلاحات سياسية واقتصادية، استنادا إلى خلفيته التعليمية وانفتاحه النسبي على مفاهيم التحديث.

شهدت السنوات الأولى من حكم بشار الأسد ما عرف بـ"ربيع دمشق[6]"، حيث برز هامش محدود من حرية التعبير وظهرت منتديات فكرية ناقشت قضايا الإصلاح السياسي وحقوق الإنسان. غير أن هذه المرحلة لم تدم طويلا، إذ سرعان ما جرى قمعها عبر اعتقال النشطاء والمثقفين، ما مثّل تراجعا واضحا عن وعود الإصلاح ورسّخ استمرار النهج السلطوي الموروث.

على المستوى الاقتصادي، اتجهت السلطة الجديدة إلى تبنّي سياسات انفتاح اقتصادي نسبي، هدفت إلى تقليص دور الدولة وتعزيز القطاع الخاص. إلا أن هذه السياسات رافقها انتشار واسع للفساد وهيمنة النخبة الحاكمة على الموارد، مما أدى إلى تعميق التفاوت الاجتماعي وتزايد الضغوط المعيشية على شرائح واسعة من المجتمع.

يظهر انتقال السلطة إلى بشار الأسد استمرار بنية الحكم السلطوي رغم تغير القيادة، حيث ظل النظام قائما على مركزية القرار، وضعف المؤسسات، وتقييد الحريات، وهو ما أسهم لاحقا في تفاقم الأزمات السياسية والاجتماعية التي انفجرت مع اندلاع الاحتجاجات الشعبية عام 2011[7].

---

[6] ربيع دمشق هي فترة زمنية شهدت فيها سوريا انفتاحا سياسيا وفكريا واجتماعيا امتدت لفترة زمنية قصيرة حيث يعد تاريخ 17تموز / يوليو 2000 وهو تاريخ أول خطاب للرئيس السوري بشار الأسد بعد توليه السلطة كما يعد تاريخ 17شباط / فبراير 2001 تاريخ انتهاء ربيع دمشق حينما قامت أجهزة الأمن والمخابرات بتجميد نشاط المنتديات الفكرية والثقافية والسياسية.

[7] https://ar.wikipedia.org/wiki - بشار الأسد

الحرب الأهلية السورية

اندلعت الحرب الأهلية السورية[8] عام 2011 في سياق موجة الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها عدة دول عربية فيما عرف بـ"الربيع العربي"[9]. بدأت الاحتجاجات في سوريا سلمية، مطالبة بإصلاحات سياسية، ورفع حالة القمع، وتحقيق قدر أكبر من الحريات العامة. غير أن الرد العنيف من قبل النظام على المتظاهرين أسهم في تصعيد الأزمة وتحويلها تدريجيا إلى صراع مسلح واسع النطاق.

مع تصاعد المواجهات، تشكّلت فصائل معارضة مسلحة في مواجهة القوات الحكومية، ما أدخل البلاد في حالة من الانقسام العسكري والجغرافي. واستفاد النظام من هذا التحول لتقديم الصراع بوصفه حربا ضد الإرهاب، مبررا استخدام القوة المفرطة. في المقابل، تمكنت قوى المعارضة في مراحل معينة من السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي السورية، خصوصا في المناطق الريفية وبعض المدن الكبرى[10].

تحوّلت سوريا مع مرور الوقت إلى ساحة صراع إقليمي ودولي، حيث تدخلت قوى إقليمية لدعم أطراف النزاع المختلفة. فقدمت إيران وحزب الله[11] دعما عسكريا مباشرا للنظام السوري، في حين دعمت تركيا وبعض دول الخليج فصائل من المعارضة المسلحة. كما لعبت القوى الدولية دورا حاسما، إذ تدخلت روسيا عسكريا عام 2015 لدعم النظام، مما شكّل نقطة تحول في ميزان القوى وأسهم في استعادة النظام السيطرة على مناطق استراتيجية.

---

[8] الحرب الأهلية السورية، المعروفة أيض ا بالأزمة السورية، والتي بدأت كحراك شعبي سُمّي بالثورة السورية عام 2011، هي صراع مسلح داخلي طويل الأمد ومتعدد الأطراف في سوريا.

[9] الثورات العربية، أو الربيع العربي أو ثورات الربيع العربي ، هي حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في بعض البلدان العربية خلال أواخر عام 2010ومطلع 2011، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق محمد البوعزيزي نفسه ونجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن علي، وكان من أسبابها الأساسية انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية .

[10] https://www.marefa.org

[11] حِزبُ الله أو المقاومة الإسلامية في لبنان هو حزب سياسي إسلامي شيعي مسلح مقره في لبنان تأسس عام 1982، وهو جزء من محور المقاومة الذي تقوده إيران ضد الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائهم في الشرق الأوسط، يقوم الحزب على الأيدولوجية الخمينية وولاية الفقيه .الجناح العسكري لحزب الله هو مجلس الجهاد، وجناحه السياسي هو حزب كتلة الوفاء للمقاومة في البرلمان اللبناني.

أدّت الحرب الأهلية إلى واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية في العصر الحديث، حيث قتل مئات الآلاف من المدنيين، ونزح الملايين داخل البلاد وخارجها. وتعرضت البنية التحتية لدمار واسع، شمل المستشفيات والمدارس والمرافق العامة، إلى جانب تفاقم الأوضاع المعيشية وانتشار الفقر والجوع في مناطق عديدة.

كما أفرزت الحرب صعود جماعات متطرفة، أبرزها تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام[12]" (داعش)، الذي استغل الفراغ الأمني للسيطرة على مساحات واسعة من سوريا والعراق، معلنا إقامة ما سمّي بـ«دولة الخلافة» عام 2014. وقد استدعى هذا التطور تدخل التحالف الدولي لمحاربة التنظيم، ورغم تراجع سيطرته الإقليمية، فإن تداعيات ظهوره ما زالت تؤثر في المشهد السوري والإقليمي.

تكشف الحرب الأهلية السورية عن تعقيدات الصراع الناتج عن تداخل العوامل الداخلية مع التدخلات الخارجية، وأسفرت عن تفكك النسيج الاجتماعي السوري وترك آثار طويلة الأمد على الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد[13].

سقوط الحكم بشار ألاسد

في أواخر عام 2024، شهدت سوريا تطورات ميدانية متسارعة، حيث تمكنت قوى المعارضة من تحقيق تقدم واسع والسيطرة على مدن رئيسية. تزامن ذلك مع تراجع الدعم الخارجي للنظام، وانهيار الروح المعنوية لقواته، ما أدى إلى تفكك مؤسسات الحكم وسقوط العاصمة دمشق بيد المعارضة.

---

[12] الدولة الإسلامية، المعروفة سابق ا باسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش)، هي تنظيم مسلح يتبنّى الفكر السلفي الجهادي، تأسس في العراق عام 2003 على يد أبو مصعب الزرقاوي تحت اسم "جماعة التوحيد والجهاد". تطوّر التنظيم لاحق ا ليُعرف بـ"الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وأعلن قيام ما سمّاه "الخلافة الإسلامية" في يونيو 2014، وسيطر على مساحات واسعة من العراق وسوريا قبل أن يتراجع نفوذه بشكل كبير بحلول عام 2017.

[13] https://www.dohainstitute.org/ar/BooksAndJournals/Pages/the-syrian-exile-syrian-civil-war-and-its-geographical-and-demographic-implications-part1.asp

في 8 ديسمبر 2024، غادر بشار الأسد البلاد بعد فقدان السيطرة على العاصمة، وأعلن رسميا سقوط النظام. مثّل هذا الحدث نهاية حكم حزب البعث وعائلة الأسد في سوريا، وفتح الباب أمام مرحلة سياسية جديدة عنوانها الانتقال وإعادة بناء الدولة[14].

أدى سقوط الحكم إلى إطلاق سراح آلاف المعتقلين، وانكشاف حجم الانتهاكات التي ارتكبت خلال سنوات الحرب. كما بدأت مرحلة انتقالية اتسمت بتحديات كبيرة، من أبرزها إعادة الاستقرار، وتحقيق العدالة الانتقالية، وصياغة نظام سياسي جديد يلبي تطلعات الشعب السوري.

إن سقوط حكم بشار الأسد لم يكن حدثا مفاجئا، بل نتيجة مسار طويل من الصراع الشعبي والسياسي والعسكري. ويعدّ هذا التحول نقطة فاصلة في التاريخ السوري الحديث، تفتح المجال أمام إعادة التفكير في مفهوم السلطة، والحرية، وبناء دولة قائمة على القانون وحقوق الإنسان.

الحكم في سوريا: ما بعد بشار الأسد

دخلت سوريا مرحلة سياسية جديدة بعد سقوط حكم بشار الأسد في ديسمبر 2024، أنهت عقودا من الحكم السلطوي وفتحت الباب أمام تحولات عميقة في بنية الدولة والسلطة. وتمثل هذه المرحلة تحديا تاريخيا يتمثل في الانتقال من نظام مركزي شمولي إلى صيغة حكم أكثر تمثيلا وعدالة، قادرة على معالجة إرث الحرب والانقسام.

شهدت الأسابيع الأولى لما بعد سقوط النظام تشكيل سلطة انتقالية[15] مؤقتة لإدارة شؤون الدولة، هدفت إلى منع الفراغ السياسي وضمان استمرارية المؤسسات الأساسية. انصبّ التركيز على إعادة تنظيم الأجهزة الإدارية، وضبط الأمن، وتهيئة المناخ لعملية سياسية شاملة.

تواجه سوريا ما بعد الأسد مهمة إعادة بناء مؤسسات الدولة التي تضررت بفعل الحرب، لا سيما الجيش، والقضاء، والأجهزة الأمنية. ويعدّ إصلاح هذه المؤسسات شرطا أساسيا لترسيخ الحكم الرشيد، وضمان عدم عودة الاستبداد بصورته السابقة.

---

[190] https://ar.wikipedia.org/wiki - سقوط نظام الأسد

15 السلطة الانتقالية هي هيئة مؤقتة تُنشأ لإدارة شؤون الدولة خلال فترة انتقالية بين نظامين سياسيين، وتهدف إلى تحقيق الاستقرار وتهيئة الظروف لإقامة نظام سياسي دائم عبر الإصلاحات الدستورية والانتخابات.

برز ملف العدالة الانتقالية بوصفه أحد أكثر القضايا حساسية، نظرا لحجم الانتهاكات التي شهدتها البلاد. ويشمل ذلك محاسبة المسؤولين عن الجرائم، وجبر ضرر الضحايا، والكشف عن مصير المفقودين، بما يسهم في تحقيق مصالحة وطنية حقيقية قائمة على الاعتراف والإنصاف.

تتطلب مرحلة ما بعد الأسد إرساء نظام سياسي يقوم على التعددية، واحترام الحريات العامة، وضمان المشاركة السياسية لجميع مكونات المجتمع السوري. وتعد صياغة دستور جديد خطوة محورية لتنظيم العلاقة بين السلطة والمجتمع، وتحديد شكل الحكم وصلاحياته.

يرتبط نجاح الحكم الجديد بقدرته على معالجة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المتراكمة، مثل إعادة الإعمار، وعودة اللاجئين، ومكافحة الفقر والبطالة. وتمثل هذه القضايا عاملا حاسما في استعادة ثقة المواطنين بالدولة.

لا يمكن فصل مستقبل الحكم في سوريا عن السياق الإقليمي والدولي، إذ تلعب القوى الخارجية دورا مؤثرا في دعم أو إعاقة مسار الانتقال السياسي. ويتطلب الاستقرار الدائم سياسة خارجية متوازنة تحافظ على السيادة الوطنية وتمنع تحوّل البلاد إلى ساحة صراع جديد.

إن الحكم في سوريا ما بعد بشار الأسد يشكّل مرحلة تأسيسية لإعادة بناء الدولة والمجتمع على أسس جديدة. ورغم التحديات الكبيرة، تتيح هذه المرحلة فرصة تاريخية لإقامة نظام سياسي عادل، يضمن الكرامة الإنسانية، ويستجيب لتطلعات السوريين في الحرية والاستقرار[16].

الخاتمة

توضح هذه الدراسة أن الحكم في سوريا منذ عام 1970 اتسم بسيطرة النظام السلطوي وهيمنة الحزب الواحد، ما أدى إلى إضعاف الحياة السياسية وتقييد الحريات العامة، وأسهم في إنتاج أزمات سياسية واجتماعية متراكمة. وقد شكّل انتقال السلطة من حافظ الأسد إلى بشار الأسد استمرارا لهذا النهج، رغم اختلاف الخطاب والسياق، حيث ظلت بنية الحكم قائمة على القمع

[16] https://www.harmoon.org/researches

الأمني وغياب المشاركة السياسية الحقيقية، الأمر الذي مهّد لاندلاع الاحتجاجات الشعبية عام 2011 وتحولها لاحقا إلى صراع مسلح واسع النطاق بفعل العنف المفرط والتدخلات الإقليمية والدولية.

يمثل سقوط حكم بشار الأسد في ديسمبر 2024 منعطفا حاسما في التاريخ السوري الحديث، إذ أتاح فرصة لإعادة بناء الدولة على أسس جديدة تقوم على التعددية السياسية، وسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان. غير أن نجاح المرحلة الانتقالية يظل مرهونا بقدرة السلطة الجديدة على معالجة إرث الانتهاكات، وتحقيق العدالة الانتقالية، وإعادة إعمار المجتمع والدولة، بما يضمن استقرارا مستداما ويستجيب لتطلعات السوريين في الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية.

المصادروالمراجع

1. بشور، أمل ميخائيل .دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر .مصر: دار جروس، 2003.
2. المشرق العربي في مواجهة الاستعمار: قراءة في تاريخ سوريا المعاصرة .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.
3. تاريخ سورية المعاصر: من الانتداب الفرنسي إلى صيف 2011 .بيروت: دار النهار للنشر، 2011.
4. رشاد، غسان محمد .أوراق شامية من تاريخ سورية المعاصر .القاهرة: مكتبة مدبولي الصغير، 2006.
5. الحرب السورية: تاريخ سورية المعاصر .(2015–1970) بيروت: دار النهار للنشر، 2015.
6. حنا، عبد الله .صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية في القرن العشرين . بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
7. ديب، كمال .تاريخ سوريا من عهد حافظ الأسد إلى الأزمة السورية الحديثة .بيروت: منشورات دار الفارابي، 2015.